جماليات الصورة الفنية في الشعر العباسي بين التأصيل البلاغي والتحول الدلالي

م.م. اشواق عبد الكريم محسن

The Aesthetics of Artistic Imagery in Abbasid Poetry: Between Rhetorical Foundations and Semantic Shifts ".

Research submitted by:

Assistant Lecturer Ashwaq Abd AL Kreem Mohsin

شعبة الدراسات العليا،كلية الإعلام، الجامعة العراقية

Graduate Studies Division,College of Media, University of aliraqia

البريد الإلكتروني، ص ashwaq.a.mohsin@aliraqia.edu.iq

الملخص

يتناول البحث جماليات الصورة الفنية في الشعر العباسي بين التأصيل البلاغي والتحول الدلالي، مركزًا على التشبيه بمختلف أنواعه: المفرد، المركب، والمتعدد. يوضح البحث كيف اعتمد شعراء العصر العباسي، لا سيما ابن المعتز وابن الرومي والبحتري، على المحسوسات الطبيعية والبيئية لإبداع صور شعرية دقيقة وجمالية، مع دمج عناصر حسية متعددة كاللون والحركة والرائحة والرمز، وتوظيف المعنويات أحياناً. كما يُظهر البحث قدرة هؤلاء الشعراء على التجديد البلاغي، من خلال تطوير التشبيه ليصبح أداة للتعبير عن العمق الفني والثقافي للعصر العباسي، بما يعكس البيئة الحضارية الغنية والمعارف المتنوعة التي أثرّت في شعرهم، ويحوّل الصور الشعرية إلى لوحات بلاغية متكاملة تجمع بين الفكر والخيال والجمال.

الكلمات المفتاحية: الشعر العباسي، جماليات الصورة الفنية، التشبيه المفرد، التشبيه المركب، التشبيه المتعدد، التجديد البلاغي، الثقافة العباسية، الإيحاء الفني.

Abstract

This study explores the aesthetics of artistic imagery in Abbasid poetry between rhetorical grounding and semantic transformation, focusing on simile in its various forms: simple, compound, and multiple. The research demonstrates how

Abbasid poets, particularly Ibn al-Mu‘tazz, Ibn al-Rumi, and Al-Buhturi, relied on natural and environmental perceptions to create precise and artistic poetic imagery, integrating multiple sensory elements such as color, movement, scent, and symbolism, while occasionally incorporating abstract concepts. The study highlights their rhetorical innovation, showing how they developed similes as tools to convey artistic and cultural depth, reflecting the rich Abbasid environment and diverse knowledge that influenced their poetry. Their poetic images thus become complete rhetorical compositions, combining thought, imagination, and aesthetic appeal.

Keywords: Abbasid poetry, artistic imagery aesthetics, simple simile, compound simile, multiple simile, rhetorical innovation, Abbasid culture, artistic expression.

المقدمة

يُعد الشعر العباسي من أزهى فترات الشعر العربي وأغناها بالصور الفنية والجمالية التي امتزج فيها التأصيل البلاغي بالتحول الدلالي، بما يعكس روح النهضة الحضارية والفكرية في العصر العباسي. فقد تميز شعراء هذه الفترة بقدرتهم على تحويل المشاهد اليومية والطبيعة المحيطة إلى صور شعرية بديعة، تمثل متناغمًا بين الملاحظة الدقيقة والخيال الخصب، بحيث يمكن للقارئ أن يستحضر الصور عبر حواسه المختلفة.

وقد برزت في هذا العصر أنواع متعددة من التشبيه الفني، من التشبيه المفرد الذي يركز على وجه شبه محدد بين المشبه والمشبه به، إلى التشبيه المركب الذي يجمع بين عدة عناصر حسية ووجدانية، وصولًا إلى التشبيه المتعدد الذي يتيح للشاعر تفكيك المشبه إلى أجزائه وتشبيه كل جزء بمشبه به مناسب، مما يزيد من دقة الصورة وثرائها. وقد ظهر هذا التنوع بوضوح في أعمال شعراء بارزين مثل ابن المعتز وابن الرومي والبحتري، الذين دمجوا بين المحسوسات الطبيعية والعناصر الرمزية والثقافية لتشكيل صور شعرية متكاملة.

ويمثل هذا البحث محاولة لتقصي جماليات الصورة الفنية في الشعر العباسي، من خلال دراسة التشبيه بجميع أنواعه، والوقوف على أساليب التجديد البلاغي والتحول الدلالي في الشعر، وكيفية توظيف الشعراء للعناصر الحسية والمعنوية في بناء الصورة الشعرية. كما يهدف البحث إلى إبراز العلاقة بين البيئة الحضارية للحقبة العباسية ومستوى الإبداع الشعري، ودور الثقافة المتنوعة من علوم وكتب

مترجمة في إثراء المخيلة الفنية للشعراء، مما يجعل شعر العصر العباسي مرآة حقيقية للذوق والجمال والحضارة.

المبحث الأول: التشبيه المفرد

يُعرَّف التشبيه المفرد بأنه تشبيه صورة مفردة بأخرى مفردة، بحيث يكون المشبه فيه مماثلاً للمشبه به في جانب واحد، ويقتصر التشبيه على هذا الجانب فقط دون زيادة. ويُستخلص وجه الشبه من أمر واحد، ومن أبرز أمثلته ما جاء في وصف ابن المعتز لبستانه:

"في روضة كحلة العروس وخدم كهامة الطاووس
وياسمين في ذرى الأغصان منتظماً كقطع العليان
والسرو مثل قطع الزيرجد قد استعد الماء من ترب ندي
وجلَنار مثل جمر الغد أو مثل أعراف ديوك الهند"[١]

في هذه الأبيات، شبَّه الشاعر الروضة بلباس العروس الذي يكسوه الجمال والحُسن، ثم وصف مرافق البستان من الخدم، مشبِّهاً أجسامهم برشاقة الطواويس. كما شبَّه أشجار الياسمين بالذهب الخالص، والسرو بالزبرجد، وزهر الرمان (الجلنار) بحمرة الخد، مُشدِّداً على ذلك في قوله: "أو مثل أعراف ديوك الهند"، ليؤكد قوة التشبيه ويضاعف أثره البصري. يظهر من هذا الوصف دقة الملاحظة والقدرة على الجمع بين الأشباه والنظائر في الصور الطبيعية، مما يعكس ملكة ابن المعتز في التصوير البديع.[٢]

وقريب من ذلك ما جاء في شعر علي بن الجهم:

"علية حياتي بورد كأنه حدود أضيقت بعضهن إلى بعض" [٣]

حيث شبَّه الورد بالخدود بطريقة مبتكرة، مخالفاً المألوف، إذ أضاف الشاعر القيد "أضيفت بعضهن إلى بعض"، مما منح الصورة طرافة وجمالاً زائدين. وقد أشار الدكتور أبو موسى في كتابه *التصوير*

١ ديوان ابن المعتز، تحقيق: محيي الدين الخياط، مطبعة جريدة الإقبال، بيروت، ص ٣٠٧
٢ نفس السابق، ص٣٠٧
٣ ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بيك، دار الآفاق، بيروت، ٢٥، ص ١٥٦

البياني إلى تعليق علي بن عبد العزيز حول هذا البيت، موضحاً أن الإضافة تجعل التشبيه أكثر ابتكاراً وتميزاً [١]

لقد عرف عن ابن المعتز اهتمامه بالتشبيه وتجديده، بحيث لا يكتفي بالكشف عن العلاقات الجديدة فحسب، بل يُجدد الصور المألوفة، وهو ما يعكس روح النهضة الحضارية في العصر العباسي. ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في قوله:

"أناك الورد محبوبا مصونا كمعشوق تكلفة الحدود" [٢]

حيث شبَّه الورد بالمعشوق، معتبراً ذلك نوعاً من الابتكار الفني في التشبيه. ويلاحظ حضور الرائحة العطرية كعنصر مكمل للصورة التشبيهية، وهو ما كان سائداً لدى شعراء العصر العباسي، الذين تأثروا بالمظاهر الحضارية ومظاهر الترف والفنون المختلفة.

ومن ذلك أيضاً وصف ابن الرومي للنسيم:

"كان تسيمها أرج الخزامي ولاها من بعد وسمي ولي"[٣]

وبالمثل، يظهر في شعر ابن المعتز دقة التشبيه، كما في قوله:

"رعى شهرين بالديرين
يقلين إلى الذعر
قيابا كالطوامير
وأذان سميعات
عيوناً كالقوارير
كلاصناف القوارير" [٤]

فقد شبَّه القباب بالـــ"طوامير" (الصحف)، والعيون بالقوارير الزجاجية اللامعة، والأذان بخلايا النحل، مما يعكس قدرته على دمج الثقافة العربية الصافية بالمعارف الأجنبية كالفرسية واليونانية والهندية، واستيعاب العلوم المختلفة مثل علم النجوم، ليقدم من خلالها صورة حضارية متكاملة عن مجتمعه

١ التصوير البياني، الدكتور محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٢١٥ــ٢١٦
٢ ديوان ابن المعتز، مرجع سابق، ص ٣١٨
٣ ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن يسج، ج ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٥٢٧
٤ ديوان ابن المعتز، مرجع سابق، ص ٣١٨

من مظاهر الطبيعة التي استُخدمت بكثرة في التشبيهات العباسية: الكواكب، الأنهر، الزهور، العطور، وغير ذلك[١]. وقد برزت في شعر ابن المعتز تشبيهات ظريفة، ومنها وصفه لقمر آخر الشهر الذي بدأت فيه علامات الزوال، ولم يعد فيه ما يدعو للجمال، حيث يقول:

"في قمر مشرق كأنه مجرفة العطر" [٢]

في هذا التشبيه، شبه الشاعر القمر بـــ"مجرفة العطر"، وهو تشبيه مستمد من بيئته واهتمامه بما يدل على الترف والجمال، كالعطور، التي كانت محط تقدير العامة والخاصة. والتشبيه في الشعر العباسي يعد فناً قائماً على المشاهدة والخيال، حيث يرسم صوراً دقيقة يمكن للحواس أو العقل أو الوجدان إدراكها، وهو أداة قوية للتعبير عن حضارة الأمم وثقافتها. ومن ذلك ما نجده في قول ابن المعتز:

"ورأيا كمرأة الصناع أرى به سرائر غيب الدهر من حيث ما سعى" [٣]

هنا شبَّه الشاعر الرأي بـــ"مرأة الصناع"، وهو مثال على تشبيه المحسوس بالمعقول، وهو ما نجده أيضاً في قول أبي تمام:

"حجج تخرس الألذ بألفاظ فرادي كالجوهر المعدود" [٤]

وهكذا، اعتمد الشعراء على المحسوسات من بيئتهم لتصوير مظاهر الطبيعة بطريقة جمالية دقيقة.

كما نرى في وصف ابن المعتز للثرى:

"واشتملت على الثرى كالريق حتى غدى في منظر أنيق" [٥]

شبَّه الشاعر الثرى بالريق، وفسر ذلك بعبارة "حتى غدى في منظر أنيق"، وهي تعكس إدخال كلمات مستمدة من الحضارة وتداخل الثقافات، مما أضفى على الصورة جمالاً وابتكاراً.

وفي شعر ابن الرومي، نجد مثالاً آخر في وصف الزلابية:

"رأيتة سحراً يقلي زلابية
في رقه القشر والتجويف كالقصب

١ ابن المعتز العباسي، صورة العصره، ص ١٦٩
٢ ديوان ابن المعتز، مطبعة الإقبال، ص ٣١٧
٣ عبد المنعم خفاجي، التنبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي، المطبعة الفاروقية الحديثة، مصر، ط١، ١٩٤٨م، ص ٣٠٠
٤ أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، كتاب شعر ابن المعتز، تحقيق: يونس السامراتي، دار الحرية، بغداد، ج ١، ص ١٣٢
٥ التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، محمد عبده عزام، دار المعارف، ج ١، ص ٣٩٧

كلما زينة المغلي حين بدا

كالكيمياء التي قالوا ولم تصب" [١]

شبَّه ابن الرومي رقة الزلابية برقة القشر والقصب، ولون العجين بلون الفضة قبل قليه، ثم بالذهب بعد تحوله، مع التشبيه بأسماك الشبوط، ما يعكس الدقة والتدرج في تصوير الصور وتشبيه المعقول بالمحسوس، مع الإشارة إلى الأثر العلمي من خلال استعارة "الكيمياء"، مما أضفى نفاسة على الصورة [٢]

وفي وصف العلب، يقول ابن الرومي:

"ورازقي مخطف الخصور كأنه مخازن البلور

لم يبق منه وهج الضرور إلا ضياء في ظروف نور" [٣]

شبَّه العلب بالبلور، ثم عزز الصورة بفكرة "الضياء"، مستعرضاً جمال المواد الطبيعية والمصنوعة، بما يعكس الانصهار بين الثقافة العربية والأفكار المترجمة في العصر العباسي.

وقد برع ابن المعتز في تصوير القمر، كما في قوله:

"البدر يضحك وسط دجلة وجهة والماء يرقص حولنا ويصفق

فكانه فيها طراز مذهب وكأنها فيه رداء أزرق"[٤]

شبَّه البدر بالطراز المذهب، والدجلة بالرداء الأزرق، مما يظهر الابتكار في التركيب التشبيهي والإيحاء بالحركة واللون في آن واحد.

أما البحتري، فقد امتاز بدقة وصف القصور والحدائق والأنهار، كما في قوله:

"وكأن قصر الساج خلة عاشق برزت لواصقها بوجه موثق"[٥]

شبَّه القصر بمعشوقة العاشق، مجسداً الجمال في المظهر العام، أو في وصفه للزجاج:

"وكان حيطان الزجاج بجوه لجج يمين على جنوب سواحل"[١]

---

١ ديوان ابن الرومي، ج ٣، ص ٩٨٨

٢ الدكتور محمد عبد أشقر، ابن الرومي: دراسة في المؤثرات البيئية والشخصية في شعره، دار الرفاعي للنشر ودار القلم العربي، ٢٠٠٦م، ص ١٦٠

٣ علي علي صبح، البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، المكتبة الأزهرية، مصر، ١٩٩٦م، ص ١٤٩

٤ ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، ج ١، ص ٢٣٧٩

٥ ديوان ابن المعتز، دار صادر، ١٩٦١م، ص ٢١٥

وهنا يشبه الزجاج بالأمواج المتلاطمة على الشواطئ، دالاً على فخامة الحياة العباسية ودقة التوصيف الفني.

وفي وصف بركة المتوكل، يقول:

"ما بال دجلة كالغيري تنافسها في الحسن طوراً وأطوارا تباهيها"[٢]

شبَّه البركة بالفتاة التي تتباهى بجمالها، وهو تشبيه دقيق ومفعم بالخيال، كما يظهر في وصف أنهار الماء عند ابن المعتز:

"وأنهار ماء كالسلاسل فجرت لترضع أولاد الرياحين والزهر"[٣]

شبَّه الشاعر الماء بالسلاسل، موضحاً صفة الترتيب والجريان، وهو تشبيه معتمد على المنطق وعلم الكلام، ما يعكس عمق التفكير الشعري في العصر العباسي.

وفي وصف الرقة البيضاء، يقول البحتري:

"والرقة البيضاء كالخود التي تختال بين نواعم أقران
من أبيض يقل وأصفر فاقع
في أخضر بهج وأحمر فان"[٤]

شبَّه المدينة بالرقة البيضاء، وفسر ألوان أقرانها المتنوعة، مما يعكس رقي الذائقة الفنية وثراء الطبيعة والحضارة في الشعر العباسي.

المبحث الثاني: التشبيه المركب

يُعدّ التشبيه المركب من أبرز مظاهر التجديد البلاغي في الشعر العباسي، وهو ذلك النوع الذي يتألف فيه طرفا التشبيه—المشبه والمشبه به—من عنصرين أو أكثر، أو أن يقع التخييل في القول بحيث يُشبَّه شيئان بذاتين أو صورتين معاً. وقد بلغ هذا النوع من التشبيه درجة عالية من التعقيد والدقة في يد شعراء العصر العباسي، لا سيما ابن المعتز، الذي اشتُهِر ببراعته في تركيب الصور الفنية وإدخال عناصر حسية متعددة في تشبيهاته.

---

١ عبد العزيز سيد الأهل، ابن المعتز والقمر، صحيفة دار العلوم، مصر، الأعداد الأول والثاني، ١٩٤٤م، ص ٥٣–٥٤
٢ ديوان البحتري، تحقيق الصيرفي، ج ٣، ص ١٦٤٩
٣ الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص ٧١٥–٧١٩
٤ ديوان البحتري، ج ١، ص ٢٤١٦

ومن أوضح الشواهد على ذلك قوله في وصف عناقيد الكروم:

كان عناقيد الكروم وظلها
كواكب ذرٍّ في سماء زبرجد[١]

فهو هنا يشبه العناقيد وما يحيط بها من ظلال بكوكبة من الكواكب تدور في سماء من الزبرجد—وهو نوع من الأحجار الكريمة ذات اللون الأخضر المصقول. وهذه الصورة مركبة؛ إذ تجمع بين المشبه (عناقيد الكروم وظلالها) والمشبه به (الكواكب في سماء الزبرجد)، مما يخلق لوحة بصرية غنية تدمج بين الشكل واللون والحركة. وقد سادت في هذا العصر الصور الحسية الدقيقة التي تميل إلى التشكيل البصري والحرفي، وهو ما يتجلى بوضوح في هذا المثال وغيره[٢].

ومن ذلك أيضًا قوله في وصف الهلال:

فانظر إليه كزورقٍ من فضةٍ
قد أقلّتْ حمولةً من عنبر[٣]

فهو يشبه الهلال بزورقٍ فضّيٍّ يحمل عطر العنبر، فيجمع بين الصورة البصرية (الزورق من الفضة) والصورة الشمية (رائحة العنبر). وقد علّق الدكتور شوقي ضيف على هذا البيت قائلاً: «إن ابن المعتز قد أضاف إلى الصورة البصرية التي تتخيلها في الزورق صورة أخرى عطرية»[٤]. وهذا يدل على قدرة الشاعر على توظيف أكثر من حاسة في بناء صورته، وهو ما يعكس ثقافته الواسعة، وذوقه الرفيع، ودقّة إحساسه بالتفاصيل.

ومن أمثلة التشبيه المركب الأخرى قوله:

انظر إلى حسن هلالٍ بدا
يهتك من أنواره الخَدَسا
كمنجلٍ قد صُيغ من فضةٍ
يحصد من زهر الدُّجى ترجُسا[٥]

---

١ ديوان ابن المعتز، مطبعة الإقبال، ص٣١٢
٢ المرجع السابق، ص٣١٣
٣ ديوان ابن المعتز، مطبعة الإقبال، ص٣٢٠
٤ ديوان ابن المعتز، دار صادر، ص١٣٥
٥ الصولي، شعر ابن المعتز، تحقيق السامرائي، ج٢، ص٥٢٧(وقد وردت الأبيات أيضًا منسوبة لابن الرومي في ديوانه، ج١، ص٣٩٤).

فهو هنا يشبه الهلال بمنجلٍ فضّيٍ يحصد زهر الترجس في ظلام الليل. والتشبيه مركب من حيث الشكل (المنجل)، واللون (الفضة)، والحركة (الحصد)، بل وحتى الرمزية (الترجس كرمز للجمال والنقاء). وقد حوّل الشاعر السماء إلى حقلٍ يزخر بالزهور، والهلال إلى أداة حصادٍ تلتقط أنوارها من الظلام. وبهذا ينتقل المتلقي من الإحساس المباشر إلى عالم الخيال، حيث تندمج الحواس وتتداخل الدلالات[١].

ولا يقتصر التشبيه المركب عند ابن المعتز على الجمع بين العناصر الحسية فحسب، بل يمتد ليشمل ربط الأشياء المتباعدة جوهريًا. ومن ذلك قوله في وصف الليمون:

كأنما الليمون لما بدا
للعين في أوراقه الخضر
مداهنٌ من ذهبٍ أُطبقتْ
على زكيّ المسك والخمر[٢]

فهو يشبه الليمون بمدهنٍ ذهبيٍ يحتوي على عبير المسك وطعم الخمر، فيدمج بين اللون (الذهب)، والرائحة (المسك)، والطعم (الخمر). وهذا النوع من التشبيه لم يكن شائعًا في العصور السابقة، إذ كان الشعراء يكتفون بالتشابه في الشكل أو اللون فقط. أما ابن المعتز، فقد استفاد من بيئته الثقافية الغنية، ووظّف عناصر الحضارة العباسية—كالذهب، والعطور، والمشروبات—ليصنع صورًا تشبيهية قريبة من واقع المتلقي ومحفوفة بدلالات ثقافية عميقة[٣].

ومن الصور التشبيهية المركبة أيضًا قوله في وصف البركة:

كان البركةُ الغنّاءُ لما غدتْ
بالماء مُفعَمةً تموجُ
وقد لاحَ التجي مرآةً فيها
قد أُصقِلتْ ومقبضُها الخليجُ[٤]

١ المرجع السابق، ج١، ص٣٩٧–٣٩٨
٢ ديوان ابن المعتز، تحقيق محمد بديع، ج١، ص١٩٤
٣ المرجع السابق، ص٣١٥
٤ ديوان ابن الرومي، ج٢، ص١١١

فهو يشبه سطح البركة المتموّج عند غروب الشمس بمرآة الجارية المصقولة، التي يلمع مقبضها كالخليج. وهنا تتضافر عناصر الحركة (التموّج)، والشكل (المرآة)، واللمعان (الخليج) لتكوين صورة فنية متكاملة، تنقل المتلقي من الواقع إلى عالم الخيال الرقيق[١].

وقد بلغت براعة ابن المعتز ذروتها حين خرج عن المألوف في تشبيه الأشياء بنظيراتها، كما في قوله في وصف زهر اللازورد:

ولازوردية تزهو بزرقتها
بين الرياض على خمر اليواقيت
كأنها فوق قاماتٍ ضُعِفنَ بها
أوائلُ النار في أطراف كبريت[٢]

فهو يشبه زهر اللازورد—الذي يتميز بأوراقه الزرقاء وساقه الحمراء—بلهب النار في بداية اشتعال الكبريت. وقد أشار الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي إلى أن هذا التشبيه «يُعدّ من أغرب التشبيهات وأدقّها، إذ يشبّه نباتًا رطبًا نديًّا بلهب نارٍ جافٍّ، ثم يزيد في الدقة فيجعله كأوائل النار في طرف الكبريت»[٣]. وقد أثنى الجرجاني على هذا التشبيه، مفضّلًا إياه على تشبيه النرجس بالمداهن، لأن الأول «يُظهر شبهًا بين نباتٍ رطبٍ ونارٍ جافةٍ، وهو أمرٌ يتطلب فطنةً وصفاءً في الخيال»[٤].

وإذا كان معظم تشبيهات ابن المعتز يعتمد على المحسوسات، فإن بعضها يجنح إلى المعنويات، كما في قوله:

وعدنا إلى الروض الذي ظلّه الندى
وللصبح في ثوب الظلام حريق
كأن عيون النرجس القضبينة
مداهنُ درٍّ حشوهن عقيق
إذا بلَّهنَ القطرُ خِلْتَ دموعَها
بكاءَ جفونٍ كحَلْنَ خُلوق[٥]

---

١ عباس محمود العقاد، ابن الرومي: حياته من شعره، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٦٠م، ص٢٤٥
٢ ديوان ابن الرومي، ج٣، ص٤٧٣
٣ ديوان ابن المعتز، مطبعة الإقبال، ص٢٩٠
٤ شعر ابن المعتز، مرجع سابق، ج٢، ص٢٠
٥ شرح ديوان أبي تمام، ج٢، ص١٩١

فهنا يبني صورة تشبيهية مركبة من وحدات متلازمة: النرجس = مداهن من الدر، والحشو = العقيق، والقطر = الدموع، والجفون = الكحل. وكل جزء من هذه الصورة مرتبط بالآخر، ولا يمكن فصله دون أن يضعف التشبيه أو ينهار. وهذا يدل على دقة الشاعر في التركيب، وحرصه على أن تكون الصورة متكاملة من جميع جوانبها[١].

وإذا انتقلنا إلى شعر ابن الرومي، نجد أن تأثره بالفلسفة والمنطق قد انعكس بوضوح على تشبيهاته، التي تميزت بالإطناب والتفصيل. يقول في وصف خبّاز:

ما أنسى لا أنسى خبّازًا مررتُ به
يدعو الرقاقَةَ شَكَّ اللمحِ بالبصر
ما بين رؤيتها في كفّه كرةً
وبين رؤيتها فُوّارَةً كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرةٌ
في لُجّة الماء يُلقى فيه بالحجر[٢]

فهو يصور سرعة تحويل العجين من كرة إلى رقاقة مستديرة تشبه القمر، ويقارنها بسرعة انتشار دوائر الماء عند إلقاء الحجر. والتشبيه هنا مركب من الحركة (السرعة)، والشكل (الاستدارة)، والتشابه الزمني (اللحظة الواحدة). وقد عُرف عن ابن الرومي دقّته في الملاحظة، وحدّته في التصوير، وهو ما يعزوه النقاد إلى تأثره بالتراث اليوناني الذي يميل إلى الإطناب والتحليل[٣].

ومن صوره المركبة أيضًا قوله في وصف الأحدب:

قصرت أخادعُه وطال قذالُه
فكأنه متربّصٌ أن يُصفعا
وكأنما صفعت فَقَاها مرةً
وأُحسنت ثانيةً لها فتجمّعا[٤]

---

١ المرجع السابق، ص٩٦

٢ شوقي ضيف، الشعر والشعراء في العصر العباسي، مرجع سابق، ص٧٨٠؛ انظر أيضًا: شوقي ضيف، الفن ومذاهبه، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٦٠م، ص٢٦٩

٣ حمدان عملية الزهراني، الصورة الشعرية ونماذجها في تشبيهات ابن المعتز، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٣٧، ١٤٢٣ه، ص١٠

٤ أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، المجمع العلمي العراقي، ج٢، ١٩٨٦م، ص٢٠٤

فهو يشبه الأحدب برجلٍ متربّصٍ للصفع، ثم يُصفع مرةً فينكمش، ثم يُحسن إليه فيتجمّع خوفًا من صفعةٍ أخرى. والصورة هنا نفسية وحركية في آنٍ واحد، وتُظهر براعة الشاعر في ربط الهيئة بالحركة، والشكل بالانفعال.

وأخيرًا، لا يمكن إغفال تأثير البيئة العلمية والثقافية العباسية على هذا النوع من التشبيه. فابن المعتز، الذي نشأ في بيئةٍ غنية بالكتب والترجمة، استفاد من ذلك في تشبيهاته، كما في قوله:

كأنما الوشي الذي اكتسى به
شكلُ خَلَا القرطاسُ من كتابه[١]

فهو يشبه زينة البازي (الوشي) بعلامات التشكيل على صفحةٍ خالية من الكتابة. وهذا تشبيه يعكس وعيًا بلغويًّا وثقافيًّا عميقًا، إذ يفترض معرفة المتلقي بعلم القراءة والكتابة، بل وبالتشكيل نفسه[٢].

ومن أروع ما ورد في هذا السياق قوله في وصف ليلة مقمرة:

هل لك في ليلةٍ بيضاءَ مقمرةٍ
كأنها فضةٌ ذابت على البلد؟[٣]

فهو يشبه ضوء القمر المنسكب على المدينة بالفضة المذابة، وهي صورة تجمع بين اللون (البياض)، واللمعان (الفضة)، والحركة (الذوبان والانسكاب). وقد استخدم أسلوب الاستفهام لاستدراج المتلقي إلى المشاركة في التخيّل، مما يضفي على الصورة بعدًا تفاعليًّا نادرًا.

وقد بلغ التشبيه المركب عند هؤلاء الشعراء حدّ "تعاقب التشبيه"، كما في قول ابن المعتز في وصف النيروز:

نيرانُه كاضطرام النار في كبدي
ودمعتي كتوالي الماء فيه[٤]

---

١ محمد عبد المنعم خفاجي، التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي، مرجع سابق، ص١٩

٢ عبد العزيز الشعلان، الصورة البلاغية في شعر أبي تمام، مجلة جامعة الإمام، العدد الأول، ١٤٠٩ه، ص٢٤٩

٣ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط١، ١٩٩١م، ص١٣١

٤ محمد عبد القادر أشقر، ابن الرومي: دراسة في المؤثرات البيئية والشخصية في شعره، دار الرفاعي للنشر ودار القلم العربي، ٢٠٠٦م، ص١٣٦

فهو يجعل النار (المحسوس) مشبّهًا بها للاضطرام في الكبد (المعقول)، ثم يجعل دمعته (المعقول) مشبّهًا بها للماء (المحسوس). وهذا النوع من التبديل يعكس عمق التفكير الفلسفي، وقدرة الشاعر على توليد المعاني من المعاني.

وخلاصة القول أن شعراء العصر العباسي، وعلى رأسهم ابن المعتز وابن الرومي وأبو تمام والبحتري، قد أبدعوا في بناء التشبيه المركب، مستخدمين في ذلك مزيجًا من الحواس (البصرية، الشمية، الذوقية)، والعناصر (الشكل، اللون، الحركة، الرمز)، حتى صارت صورهم الفنية لوحاتٍ بلاغية متكاملة. وقد أدرك النقاد أن هذه الصور ليست مجرد زينة لغوية، بل هي تعبير عن رؤية فنية شاملة، تلتقي فيها الكلمة بالرسم والنحت، وتتفوّق عليهما بقدرة الكلمة على الإيحاء والتفاعل[١].

المبحث الثالث: التشبيه المتعدد

يُعدّ التشبيه المتعدد من أبرز ملامح التجديد البلاغي في الشعر العباسي، إذ يعمد الشاعر فيه إلى تشبيه مشبه واحد بأكثر من مشبه به، أو إلى تفكيك المشبه إلى أجزائه وتشبيه كل جزء بمشبه به مناسب. وقد بلغ هذا النوع من التشبيه درجة عالية من التطور والتعقيد في شعر ابن المعتز، الذي كان يعشق النرجس ويصفه في مواضع متعددة، لا يكرر فيها صورةً واحدة، بل يبتكر في كل مرة تشبيهًا جديدًا يعكس ثقافته الراقية، ونشأته في بيئة القصور، حيث كانت الدرر والأحجار الكريمة جزءًا من واقعه اليومي. ولذلك، غلبت على تشبيهاته الصبغة الحسية الدقيقة، التي تجمع بين الألوان، والروائح، والأشكال، بطريقة توحي بأنه يتعامل مع أفكاره بصبرٍ وتحليلٍ أكثر مما يتعامل مع مشاعره الانفعالية[٢]

ومن أوضح نماذج التشبيه المتعدد قوله:

عيونٌ إذا عاينتَها فكأنما
مدامعُها من فوق أجفانِها دُرُّ
محاجرُها بيضٌ وأحداثُها صُفرْ
وأجسامُها خُضرٌ وأنفاسُها عِطْرُ[٣]

١ محمد أبو الأنوار، الشعر العباسي: تطوره وقيمه الفنية، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٢٢٩
٢ ابن المعتز العباسي: صورة العصرة، مرجع سابق، ص٢٧٦
٣ شعر ابن المعتز، تحقيق السامرائي، ج٢، ص٥٨٨

فهو هنا لا يكتفي بتشبيه العيون ككل، بل يفكّكها إلى أجزائها: يشبه الدموع بالدر من حيث اللمعان والشكل، ومحاجر العيون (الجفون) بالبياض، وحدقتها (الأحداث) بالذهب من حيث الصفرة، ويجسدها بالخضرة، وينسب إليها رائحة العطر. وهكذا يبني صورةً مركبةً من عناصر متعددة، كل منها ينتمي إلى حاسةٍ مختلفة—بصرية، لمسية، شمية—مما يخلق انطباعًا كليًّا غنيًّا لا يُدرك إلا بتفاعل الحواس جميعها[١] .

ومن أمثلة التشبيه المتعدد أيضًا قوله:

وإذا بدت في حضرةٍ في صفرةٍ
فكأنها للحسن باقةُ نرجس[٢]

فهو هنا يشبّه الموصوف—الذي يجمع بين الخضرة والصفرة—بباقة نرجس كاملة، لا بنرجسة واحدة. وهذا يعكس ميله إلى التعميم الجمالي، حيث لا يقتصر على جزءٍ من المنظور، بل يلتقط الصورة الكلية في لحظةٍ واحدة، مُظهرًا براعته في الجمع بين الألوان والهيئة في تشبيهٍ واحد[٣] .

ولم يقتصر ابن المعتز على ذلك، بل تعدّى إلى ما هو أدقّ حين شبّه النارنج—وهو نوع من الليمون الصغير—بقوله:

كأنما التاريخ في أغصانه
من خالص الذهب الذي لم يُخلَطْ
كرةٌ رماها الصولجانُ إلى الهوى
فتعلّقت في جوٍّ لم تسقطْ[٤]

فهو هنا يشبّه الثمرة بثلاثة مشبهات في آنٍ واحد: بالذهب من حيث اللون والنقاء، وبالكرة من حيث الشكل، وبجسمٍ معلّق في الجو من حيث الوضع والحركة. وهذه الصورة الثلاثية تكشف عن قدرةٍ استثنائية على التحليل البصري والخيالي، وتُظهر كيف حوّل الشاعر ثمرةً بسيطةً إلى لوحةٍ فنيةٍ متكاملة[٥] .

ولا يختلف البحتري في هذا المنهج، فقد اتبع نهجًا مشابهًا في وصفه للرياض، حيث يقول:

---

١ الشعر والشعراء في العصر العباسي، مرجع سابق، ص٧٧٢
٢ ديوان ابن المعتز، مطبعة الإقبال، ص٣٢٠
٣ المرجع السابق، ص٣٢١
٤ ديوان البحتري، تحقيق الصيرفي، ج٢، ص٢١٩٨
٥ المرجع السابق، ص٢١٩٨

فَكَأَنّ الأشجارَ تعلو رُباهَا

بنَثِيرِ اليَاقُوتِ والمَرجَانِ[١]

فهو يشبّه أزهار الأشجار أو ثمارها باليواقيت والمرجان—حجرَيْن كريمين ذوي لونٍ أحمر زاهٍ— مستحضرًا بذلك ثقافة العصر العباسي التي كانت تقدّر هذه الأحجار تقديراً عظيمًا. ثم يضيف طبقةً أخرى من التشبيه الحسي فيقول:

وكأنّ الصّبا تردّدَ فيها

بنسيمِ الكافورِ والزعفرانِ[٢]

فهو هنا يشبّه نسيم الرياض برائحة الكافور والزعفران، وهما من أرقى العطور في ذلك العصر. وهكذا يدمج بين البصر (الألوان)، والشم (الروائح)، ليكوّن صورةً حسيةً متكاملةً لا تُدرك إلا بتفاعل الحواس[٣].

ومن صور التشبيه المتعدد عند البحتري أيضًا قوله في وصف العمارة:

فَرَفَعتْ بُنيانًا كانَ مَنارَةَ أعلامِ رضوى

أو شواهقَ خَيْبَرَ[٤]

فهو يشبّه البُنية المعمارية بمنارتين في آنٍ واحد: منارة رضوى، ومنارة خيبر، مستفيدًا من الرمزية الجغرافية والتاريخية لكلٍّ منهما لتعزيز الإيحاء بالعلو والشموخ.

كما يظهر التشبيه المتعدد في وصفه لنهر دجلة:

أحسنَ بدجلةَ منظرًا ومخيِّمًا

والفردُ في أكتافِ دجلةَ منزلًا

تبيضُ نقبتُه ويسطعُ نورُه

حتى تكلّ العينُ فيه وتَلكَلا

---

١ ديوان البحتري، ج٢، ص١٠٤٠

٢ المرجع السابق، ج٣، ص١٦٥٢

٣ شعر ابن المعتز، مرجع سابق، ج٢، ص١٦٧

٤ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدة، ١٩٩١م، ص١٢٧–١٢٨

كالكوكبِ الدِّريِّ أخلى ضوءَه

حَلَكَ الدُّجى حتى تألّقَ والجَنى[١]

فهو هنا يشبّه منظر دجلة ومنزل الفرد (ربما خيمة أو قصر) بالكوكب الدري، لكنه لا يكتفي بالتشبيه العام، بل يفصّل أوجه الشبه: بياض النقبة يشبه لمعان الكوكب، وسطوع النور يشبه إشراقه في ظلام الليل. وهكذا يُعيد تركيب الصورة من الداخل، مُظهرًا العلاقة بين الجزء والكل، وبين المشبه والمشبه به[٢].

ومن أروع صور التشبيه المتعدد عند ابن المعتز قوله:

كأنّ الثُّريّا في أواخرِ ليلِها

تفتّحَ نورٌ أو لجامٌ مُفضّضُ[٣]

فهو يشبّه مجموعة نجوم الثريا بعنقودٍ من الضوء، ثم يضيف تشبيهًا ثانويًّا لها بأنها "لجامٌ مفضض"— أي مصنوع من الفضة. وهنا يجمع بين هيئة العنقود (التجمع)، وهيئة اللجام (الامتداد والانفصال)، مُشيرًا إلى أن النجوم ليست متلاصقة تمامًا، ولا متباعدة جدًّا، بل في توزيعٍ دقيق يشبه ما تراه العين في الواقع. وقد أشار الجرجاني إلى أن "اعتبار التفصيل في التشبيه أعجب ما يكون فيه"، لأن الدقة في رصد العلاقات بين الأجزاء هي ما يمنح الصورة قوتها البلاغية[٤]

وإذا انتقلنا إلى شعر ابن الرومي، نجد أن التشبيه المتعدد عنده لا يقتصر على العناصر الحسية فحسب، بل يمتد ليشمل المعنويات أيضًا، مدعومًا بعاطفته المرهفة وحسه الفني العالي. فقد كان يمتلك موهبة نادرة في تصوير الحركة، وهي من أصعب ما يواجهه الشاعر. ومن ذلك قوله في وصف الكتان في الحقل:

وجلسَ من الكتانِ أخضرَ ناعمٍ

توسته داني الربابِ مطيرْ

إذا درجت فيه الشمالُ تتابعتْ

ذوائبه حتى يقالَ: غديرْ[٥]

---

١ عباس محمود العقاد، ابن الرومي: حياته من شعره، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٦٠م، ص٢٤٢.
٢ ديوان ابن الرومي، ج٣، ص٩٨٣
٣ التصوير البياني، مرجع سابق، ص١٠٧–١٠٨
٤ العقاد، ابن الرومي: حياته من شعره، ص٢٣٩–٢٤٠
٥ ديوان ابن الرومي، ج٣، ص٩٨٤

فهو هنا يشبّه الكتان—حين تمرّ عليه الريح الشمالية—بالغدير (التيار المائي)، وذلك من خلال تتابع حركة "الذوائب" (أطراف السيقان) التي تتمايل كأمواج الماء. والصورة هنا مركبة من: اللون (الأخضر)، والملمس (النعومة)، والحركة (التمايل المتتابع). وقد أشار العقاد إلى أن "التصوير لون وشكل ومعنى وحركة، وقد تكون الحركة أصعب ما فيه... ولكن تمثيل هذه الحركة المستعصية كان أسهل شيء على ابن الرومي"، لأنه كان يرى الحركة لا بعينه فحسب، بل بخياله ووجدانه[١]

وقد أكمل ابن الرومي بناء الصورة بإضافة طبقاتٍ حسية أخرى: فالكتان "ناعم"، و"توسته" الرباب (أي نسمة الربيع)، و"الذوائب" تتحرك كأنها مياه غديرٍ تجري. وهكذا تتكامل عناصر الزمان (الربيع)، والمكان (الحقل)، والحركة (التمايل)، واللون (الأخضر)، واللمس (النعومة)، لتُشكّل لوحةً شعريةً حيةً لا تقلّ دقةً عن لوحة الرسام أو منحوتة النحات[٢] .

وخلاصة القول أن التشبيه المتعدد في الشعر العباسي لم يكن مجرد زينة بلاغية، بل كان أداةً فنيةً عميقةً لاستكشاف العلاقات الخفية بين الأشياء، وتوسيع آفاق الإدراك الحسي والخيالي. وقد استطاع شعراء هذا العصر—وخاصة ابن المعتز وابن الرومي والبحتري—أن يوظفوا هذا النوع من التشبيه لبناء صورٍ فنيةٍ متكاملة، تجمع بين الدقة التحليلية، والجمال التصويري، والعمق الإيحائي، مما جعل شعرهم مرآةً صادقةً لثراء الحضارة العباسية وتنوع مصادرها الثقافية.

الخاتمة

يمكن القول إن الشعر العباسي يمثل قمة الإبداع الشعري العربي، حيث جمع بين التأصيل البلاغي والتحول الدلالي في بناء الصور الفنية. وقد أظهر الشعراء مثل **ابن المعتز** و**ابن الرومي** و**البحتري** قدرة فائقة على تطوير التشبيه الفني، سواء كان مفردًا، مركبًا، أو متعددًا، مستفيدين من البيئة الثقافية والحضارية الغنية في العصر العباسي. إن التجديد البلاغي الذي شهدته صور الشعراء لم يقتصر على الابتكار في التشبيهات، بل امتد ليشمل دمج العناصر الحسية والمعنوية، وإدخال رموز وعلوم متنوعة، ما جعل الصور الشعرية أكثر عمقًا وجمالًا.

كما أظهر البحث أن التشبيه لم يكن مجرد زينة لغوية، بل أداة أساسية تعكس رؤية فنية متكاملة، تجمع بين الفكر، الخيال، والحس الجمالي، وتعكس البيئة الاجتماعية والثقافية التي نشأ فيها الشاعر. وقد

١ شعر ابن المعتز، مرجع سابق، ج٢، ص١٧٤
٢ التصوير البياني، مرجع سابق، ص١٠٧–١٠٨

أسهم هذا التجديد في إثراء اللغة العربية وتطويرها، وجعل الشعر العباسي مرآة حضارية للحقبة التي أنتجته.

النتائج

١. التنوع البلاغي للتشبيه: أظهر الشعر العباسي تنوعًا كبيرًا في استخدام التشبيه، بدءًا من المفرد، مرورًا بالمركب، وصولًا إلى المتعدد، مع مراعاة الدقة في اختيار المشبه والمشبه به.

٢. دمج الحواس والعناصر الثقافية: اعتمد الشعراء على دمج العناصر البصرية، الشمية، والسمعية مع الرمزية والمعنويات، لإنتاج صور شعرية متكاملة.

٣. التجديد والإبداع: كانت القدرة على التجديد في الصور المألوفة وإضفاء طابع مبتكر عليها من أهم سمات الشعر العباسي، مما يعكس روح النهضة الفكرية والحضارية للعصر.

٤. تأثير البيئة الحضارية: ظهر تأثير الثقافة العباسية المتنوعة، بما فيها المعرفة بالعلوم المترجمة والفنون المختلفة، على التشبيهات والخيال الفني للشعراء.

٥. التصوير الفني كأداة للتعبير: لم يقتصر الشعر على وصف الواقع، بل أصبح أداة لتصوير المشاعر والأفكار، وتعميق التجربة الجمالية لدى المتلقي.

التوصيات

١. تشجيع دراسة النصوص الشعرية العباسية بشكل تحليلي لتسليط الضوء على الأساليب البلاغية والفنية، بما يعزز فهم العمق الثقافي للحضارة العربية.

٢. التركيز على التعليم الأدبي التفاعلي الذي يتيح للطلاب التفاعل مع الصور الشعرية، وتحليل عناصرها الحسية والدلالية.

٣. دعم البحوث المقارنة بين الشعر العباسي والفترات الشعرية الأخرى للكشف عن عناصر التجديد البلاغي والتحولات الدلالية في تاريخ الشعر العربي.

٤. توظيف أساليب التشبيه وفنون الصورة الشعرية في الدراسات اللغوية والأدبية الحديثة لتطوير طرق التعبير الفني والتحليل النقدي.

٥. الاستفادة من الثقافة المتعددة المصادر للعصر العباسي، بما فيها العلوم والفنون المترجمة، في دراسة الشعر وتحليل تأثيرها على الإبداع الشعري.

المراجع:

- أبو موسى، محمد محمد، التصوير البياني، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٧م.
- أبو الأنوار، محمد، الشعر العباسي: تطوره وقيمه الفنية، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٩م.
- الأشقر، محمد عبد القادر، ابن الرومي: دراسة في المؤثرات البيئية والشخصية في شعره، بيروت: دار الرفاعي للنشر / دار القلم العربي، [بدون تاريخ طبعة محددة].
- العتيبي، حمدان عطية الزهراني، "الصورة الشعرية ونماذجها في تشبيهات ابن المعتز"، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٣٧، ١٤٢٣ه.
- الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود شاكر، جدة: دار المدني، ١٩٩١م.
- الشعلان، عبد العزيز بن عبد الرحمن، "الصورة البلاغية في شعر أبي تمام"، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الأول، ١٤٠٩ه.
- العقاد، عباس محمود، ابن الرومي: حياته من شعره، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٠م.
- الهندي، عبد العزيز سيد الأهل، "ابن المعتز والقمر"، صحيفة دار العلوم، مصر، العددان الأول والثاني، ١٩٤٤م.
- خفاجي، محمد عبد المنعم، التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي، مصر: المطبعة الفاروقية الحديثة، ١٩٤٨م.
- شلبي، سعد، ابن المعتز العباسي: صورة العصرة، بيروت: دار الفكر العربي، [بدون تاريخ].
- ضيّف، شوقي، الفن ومذاهبه، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م.
- طلحة، علي علي صبح، البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، مصر: المكتبة الأزهرية، ١٩٩٦م.
- مردم بك، خليل (محقّق)، ديوان علي بن الجهم، بيروت: دار الآفاق، [بدون تاريخ طبعة].

- الصيرفي، حسن كامل (محقّق)، ديوان البحتري، مصر: دار المعارف، ١٩٦٤م، ج□٣.
- الخياط، محيي الدين (محقّق)، ديوان ابن المعتز، بيروت: مطبعة جريدة الإقبال، [بدون تاريخ].
- بديع، محمد (محقّق)، ديوان ابن المعتز، ج□٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٨م.
- بسج، أحمد حسن (محقّق)، ديوان ابن الرومي، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢م، ج□٢.
- السميرائي، يونس (محقّق)، شعر ابن المعتز، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي، بغداد: دار الحرية، ١٩٧٨م، ج□١.
- عزام، محمد عبده (محقّق)، شرح ديوان أبي تمام، لأبي الحسن التبريزي، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٢م، ج□١.
- سلام، محمد زغلول (محقّق)، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، القاهرة: دار المعارف، [بدون تاريخ].
- مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٦م، ج□٢.